دلالات الأماكن الأليفة في الشّعر العربي الحديث

-"البيت" و"الغرفة" و"المسجد" نماذج-

أ.د. عبد القادر سلاّمي و أ. أمينة بلهاشمي

الملخص:

تقوم الدراسة الموالية على تحليل بعض نماذج الشعر العربي الحديث وفق منهج يتّخذ من التأويل أداةً إجرائيةً في الوقوف على رمزية بعض الفضاءات والبيئات المكانية المألوفة ، نحو" البيت" و" الغرفة" و " المسجد" ،آخذين في الحسبان ما تحقّق من رمزيتها العامّة في هذا الشعر و ما تحقّق منها من رمزية خاصّة تفرّد بها بعض الشعراء دون غيرهم ، وبما يمثّل معجمهم الشعري بامتياز.

- تقديم:

١- المكان ومصطلحاته :

إنّ السياق الثقافي جامع بين العرف والمعتقد الديني والمفضي إلى معتقدات مشتركة بين أفراد مجتمع من المجتمعات على النحو الذي عمد القرآن الكريم إلى التدليل عليه وفق إحداثيات مكانية نابعة من حضارة المجتمع العربي وثقافته١. إذ لا يستوي أهل اليمين وأهل الشمال وهو ما عبّر عنه القرآن الكريم في سورة الواقعة بقوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾٢ و﴿ أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾٣ للدلالة على أهل الجنة وأهل النّار، كما استعمل غيره من النعوت المكانية لتجسيد صور الإيمان.٤

على أن مصطلح "المكان" يظل عنوانا لحقل دلالي ينضوي تحته كل من:البُقعة والبَقْعَةُ٥٦ و الحيّز٧، والخَلاءُ٨ الفَرَاغُ،٩ والفَضَاءُ، ١٠والمَجالُ،١١ ،والمَلاَ١٢ ،والمَحَلُّ، ١٣والمَوْضِعُ،١٤والمَوقِعُ.١٥

ويدعى المكان في الفرنسية"Lieu " و"Espace" وفي الإنجليزية "Space" وفي اللاتينية "Spatium" والمكان الموضع وجمعه أمكنة وهو المحل "Lieu" المحدد الذي يشغله الجسم، تقول مكان فسيح ومكان ضيق وهو مرادف للامتداد "Etendue"١٦

لقد فضّل الدارسون العرب مصطلح المكان وارتضوه عنواناً لدراساتهم على حساب الفضاء فكل فضاء مكان وليس كل مكان فضاء، وعلى هذا فإن المكان مصطلح عام يشمل المغلق والمفتوح من المواقع والفضاءات والأحياز والمواضع وغيرها فقد تتداخل هذه المصطلحات أثناء عملية البحث فننظر إلى التعامل معها على أنّها مرادفة للمكان الذي يشملها جميعاً.

٢- أهمية المكان في الدراسة السيميائية:

أجمع دارسو الأدب على أهمية المكان في العمل الأدبي، وتوقفوا عند دلالاته الكثيرة وجمالياته المتنوعة ، وذهبوا إلى أن للمكان "عميق الأثر في الحياة البشرية ، إذ ما من حركة إلا وهي مقترنة به، وما من فعل إلا وهو مستوح لبعض دوافعه منه ، وهو أعمق وأكبر ، وأهم من أن ينحصر في ما يمثله من ظرف أو وعاء ، وأن يقتصر فيه على البين الناتئ من مستوياته ،لأن كل مناحي الحياة ومستوياتها، وقطاعاتها ، بل وكل مناحي النفس أيضا تشهد على حضوره الكثيف ،وتعدد مظاهره ، وتفصح عن أثره ،وتدفع إلى الإقرار بأنه جزء لا يتجزأ من كل الموجودات وكل وجوه حركتها وسلوكها ولعله ما من قرين للتجربة البشرية مثله هو عمادها ومطرحها، هو مغذيها،وهو مصبها ومنطلقها،وهوترجمتها أيضاً. ١٧ وهذه العلاقة بين الإنسان والمكان تبدأ منذ أن " يكون الإنسان نطفة ، يأوي إلى المكان الأول وهو رحم الأم ، وهناك يمارس تكوينه الجسدي والحياتي ، حتى إذا حان المخاض،خرج هذا الجنين يشم أول نسمة للوجود الخارجي، وكان المهد هو المكان الذي تتفتح فيه مداركه ، وتنمو فيه حواسه من سمع وبصر وشم ،وتذوق ،ولمس .وبعده – أي بعد المهد ، تظهر الأبعاد المكانية للإنسان بصور أوضح في البيت والمدرسة والنادي، سواء في القرية أو في المدينة ، أو في الصحراء ،بل في البر والبحر والجو. وفي أحياز مكانية لا حصر لها.١٨

٣) الأماكن الأليفة دلالياً:

ومنها:

أ-البيت:

البيتُ: المَأْوى والمآبُ ومجْمَعُ الشَّمْل. يقالُ: بيتٌ وبيُوتٌ وأبياتٌ، لكن البُيُوت بالمَسْكَن أخصُّ،والأبيات بالشّعر أخصّ،ومنه يُقالُ لبيت الشِّعْر بيتٌ على التّشبيه،لأنّه مَجْمَعُ الألفاظ والحروف والمعاني، على شَرْط مَخْصُوص وهو الوَزْنُ. ١٩وباتَ فلانٌ يفعلُ كذا يَبيتُ ويَبَاتُ بَيْتاً ومَبيتاً وبَيْتُوتةً ، أي يفعلُه ليلاً وليس من النّوْم ، ومَنْ أدْرَكَهُ الليلُ فقد بَاتَ .٢٠ ثمّ قد يُقالُ للمَسْكَن بيْتٌ من غير اعتبَار اللّيْل فيه، ويقع ذلك على المتّخَذ من حَجَر ومدَر وصُوف ووَبَر، وبه شُبِّه بيْتُ الشَّعْر، وعُبِّرَ عن مكان الشّيء بأنّهُ بَيْتُه. وصارَ أهلُ البيت مُتَعرفاً في آل النّبيّ صلّى الله عليه وعلى آله السّلام.وبيتُ الله والبيْتُ العتيق:مكّةُ،٢١ قال تعالى: (وإذْ يَرفعُ إبراهيمُ القواعدَ من البيْت وَإسْمَاعيل) ٢٢،يعني بيتَ الله، وقوله تعالى:(وَلْيَطَّوَّفُوا بالبيت العتيق). ٢٣

وبذلك فإنّ البيت مكان للإيواء والإقامة الشخصية،فهو يعدّ أهم مكان في حياتنا،لأننا نعدّه مكاننا الأوّل أو بالأحرى مكاننا الطّفولي كما سمّاه "غاستون باشلار"(Gaston Bachelard).٢٤

ولطالما عُدّ البيت والأم والوطن من المترادفات مع ما بينهما من فروقات معنوية دقيقة،فإننا لا نكاد نستحضره حتى، تتراءى لنا الأمّ بين ثناياه، فيتمظْهرُ الوطن كأمّ وتتمظْهرُ الأمّ كوطن ويظهر البيت جامعاً بين الدلالتين أو وسيطا بينهما.٢٥

فها هو الشاعر "محمود درويش" في قصيدة" أبي"يحنُّ لبيت عاشَ فيه أبُوه زُخرُفَ العيش وقد أصبحَ ساكنُوهُ يعيشونَ على الكفَاف:

غَضَّ طَرْفاً عن القَمْرْ
وانْحَنى يحضُن التّراب
وصَلّى ..
لسَماء بلاَ مَطَرْ،
ونَهَاني عن السَفَرْ!
أشعَلَ البَرْقُ أوديَةً
كانَ فيهَا أبي
يُرَبّي الحجَارا
منْ قديم ..ويخلُقُ الأشْجارَا
جلدُهُ ينْدفُ النّدى
يدُهُ تُورقُ الشّجَرْ
فبَكى الأفْقُ أغْنيَه:
كان أُوديس فارساً..
كان في البيت أرغفةٌ
ونبيذٌ ، وأعطيَهْ
وخُيُولٌ، وأخذيَهْ٢٦

وفي هذا يقول "ياسين النصير":

بَيْتٌ يقفُ في قَلْبي
كَنيسَةُ صَمْتي
أَسْتَعيدُهُ كُلَّ صَبَاح خِلاَلَ الحُلْم
وأهْجُرُهُ كُلَّ مَسَاءْ
بَيْتٌ يُجَلّلُهُ الفَجْرْ
مُشْرَعٌ لرياح شَبَابي٢٧

إذْ يقالُ : "تبيتُ البيوت فينا ولسنا نحن الذين نبيت فيها"، بمعنى أنّها منذ الطفولة وحتى الوقت الحاضر تحتوي شخصيتنا ومشاعرنا وأحلامنا وطموحاتنا وأفكارنا، فهي وطننا الثاني الذي نحياه.٢٨

هذا البيت الذي لا يرى فيه الشاعر"أحمد سحنون"حياة غير حياة الطّفل الإنسان،خاصة إذا علمنا أنَّ:(من البسيط)

دُنْيَا الطّفولَة دُنْيَا لا تُدانيها
دُنيَا ولوْ أنّها الدُّنْيَا ومَا فيـــهَا
والطّفْلُ في البيْت رُوحُ البَيْت يَمْلَؤُهُ
حُبّاً وطُهْراً وتقديساً وتنْزيـهَا
والبَيْتُ رَوْضَةُ أُنْس إنْ يحلُّ به
طفلٌ رأَيْتَ رِدَاءَ الأُنْس كاسِيهَا
والبَيْتُ ليْسَ به طِفْلٌ كمقْبَرَة
قَدْ ألْجَمَ الصّمْتُ مَنْ حلُّوا بوَادِيهَا٢٩

هذا،وقد اتخذ الشّاعر"نور الدّين مبخوتي"من "البيت" مواصلة لأحلام يقظة الإنسان بالاستمرار، حين قال في (مدونة الأشياء الناطقة):

الفَرَاشَةُ مَعْرُوشَةُ الكَعْب نَاطقَةْ
المَزَاريبُ في الحَيّ نَاطقَـــةْ
الأيادي المُلَوّحَةُ هَذَا الصَّبَـاحْ
لنَعْنَاع وَجْدَةَ نَـــــاطقَةْ
المَدَاخلُ في زيّهَا الوَثَني.....
البُيُوتُ القَصيرَاتُ
حيْثُ القُمَامَةُ تَنْهيدَةٌ لَمْ تَزَلْ بَيْنَ سُهْب المَرَايَا
وأذْكار مَنْ أشْعَلُوا
حُجَجَ الوَهْم تَحْتَ المَنَاديل
في غَنَج طَمَعاً في التَبَرُّك
بالتُّوت
هذَا الذي سَيَزُفُّ إلَى بَجَع القَرَويَّة
كُوبَ دَوَاخلهْ.٣٠

أمّا الشاعر"حسن بوساحة"، فيحدوه أمل الشهادة في قصيدة" مذكرة إلى بلادي"، الذي فاته قبل أن يُولد، الأمر الذي لا يُعدم وفاءه الأبدي لوطنه الجزائر:

لَئنْ فاتَني أنْ أكُونَ شهيداً
وتبنّي الطّيور التي جاءَها القرُّ
بيوتَ الحَنَانْ..

وأعشاشَها.. في ضُلُوعي
إلى أن يقول:
لئن فاتني في النّشوء ارْتقَاءْ
وفي –رحبة الجاه- سنُّ المَزادْ
فقد كنتُ وفيّاً
إلى منْ لها خُنْتُ نَفْسي
فهانَ المصيرُ
وهانَ العبَادُ.٣١

ولعلّنا لا نغالي، إذا قولنا بعد ما قدمنا من أشعار: إنّ "البيوت" هي جزءٌ من غريزة الموت،٣٢ فلا تحيا إلا بحياة الإنسان رمز الحياة .

-٢الغرفة:

الغرفةُ: العُلِّيَّةُ من البناء وجمع غُرَف وغُرُفات.٣٣وسمّيت منازلُ الجنّة غُرَفاً٣٤، قال تعالى : (أولئكَ يُجْزَوْنَ الغُرفَة بمَا صَبَرُوا(٣٥، وقال: (لَنَبْلُونَّهُم من الجنّة غُرَفاً(٣٦ ، و قال: (وهُمْ في الغُرُفَاتِ آمِنُونَ(.٣٧

فـ"الغرفة" كلمة اتسعت "دلالتها لتغدو معبّرة عن كلّ غرفة عالية أو جزء من الدّار أو المنزل الحديث لا يكون مرتفعاً أي هي حجرة (جزء) من المنزل الذي يسكنه المَرْء، وتحتملُ دلالة عصرية خاصّة في سياق محدّد ، فهي حجرةٌ تُستأجرُ من منزل متعدّد الغُرُفات، وهذا دليل الفقر أو الاضطراب، لأنها تعني قيداً في الحركة،وضيقاً في المكان، وهذه الحالة معرفة في المُدن الكبرى غالباً "٣٨.

والغُرْفَةُ بقعةٌ نُور تحجبُ النّور، وتصنعه، وتجعلُ لِبَاحتها الصغيرة إمكانية تعويضية عن الفضاء السّمح الآفل المتجدّد،إذ استطاع الإنسان بخبرته وحاجاته،وتعدّد أزمنته وتعاقبها أن يوطّن نفسه السّكن فيها ، "فالغرفُ في تكوينها الفكري حاجات لا بديل لها، وحاجات تتزايدُ بتعدّد الحاجات الجديدة، وهكذا تدخلُ في دائرة متشابكة مستمرّة من الحياة، ترافق رحلة طويلة لا نهاية لها".٣٩.

وفي هذا يقول الشاعر" أمل دنقل" في قصيدة (يوميات كهل صغير السِّنّ):

عَيْنَا القطّة تَنْكَمِشَان..
فيدقُ الجَرَسُ الخامسةَ صبَاحا!
أتحسَّسُ ذَقْني النَّابتةَ.. الطّافحةَ بُثُورًا وجراحا
(.. أسْمَعُ خَطْو الجَارة فوْقَ السَّقْف
وهيَ تُعدُّ لساكن غرفتها
الحمَّامَ اليوميَّ ..!)
دفءُ الأغطية، خريرُ الصنبور
خشخشةُ المذْياع، عذوبة جسدي المبْهُور
(..والخَطْوُ المُتَرَدِّدُ فوْقي ليْسَ يكُفُّ..!)
لكنّي في دَقَّة بائعَة الألبَان:
تتَوَقَّفُ في فَكّي فُرشَاةُ الأسْنَان !٤٠

وعن هذا يقول "صلاح عبد الصبور":

"في غرفتي دَلَفَ المَسَاءُ
والحُزْنُ يُولَدُ في المَساء،لأنّهُ حُزْنٌ ضريرُ"
.....
" مَاذَا عَلَيَّ لَوْ انْعَطَفْتُ لِغُرْفَتِي حَتّى أنَامْ
وأَغُوصُ في بَحْرِ السَّلاَمْ"
.....
أوَاحِدَتي في المَسَاء الأخِيرْ
ألوبُ إلى غُرْفَتي
ويُزْحِمُ نَفْسي انْبِهَارٌ غَريبْ".٤١

ولا تعدو" الغرفة" عند الشاعر المصري "فريد أبو سعدة" إلاّ من عوادي الزّمن:

في مُنْتَصَف الغُرْفَة
وَقَفَ الرّجلُ الوَحيدُ
على الحَائط
صُورَتُهُ في صِبَاهُ
وفَوْقَ السَّرير
صُورَةُ العَائلَة خَلْفَهُ
صوَانٌ قديمٌ
وأمامَهُ المَدَى.٤٢

يقول الشاعر" صالح باوية":(من الكامل)

في غرفتي والليلُ والأرَقُ
وحدي مع الألفاظ أنعَتِقُ
والشاي قُرْبي ومنْضَدَةٌ
وقطّةٌ شَمْطاءَ تَرْتَـــزِقُ٤٣

ذلك أنّ" الغرفة" قد تفقد أُلْفَها بتغيّر الأمزجة، فكذلك اللّيْل قد يكونُ مدعاةً للسُّهاد والأرَق والخوف.فكذلك الليل في (دمشق) وعلى ضفاف نهر (بَرَدَى) المرعب؛ ففيه الموت والخيال الموحش وفيه تتطفئ شُعلة الدنيا وتتحوّل الأشياء في غرفته إلى وُحوش مُرعبة كالتي طاردَتْ شاعرنا " أبا القاسم خمّار".٤٤ وهذا مقطع من إحدى قصائده:

النّاسُ يَخْتَفُونَ هَاربينَ
وَالشَّمْسُ في ارتعَاش تَسْتَجيبُ
لاَ تَتْرُكُوني خَلْفَكُم وَحيداً
أَلُوبُأ في الظّلام ... لاَ أرَى
يَلُوكُني الإعْيَاءُ
لاَ تَتْرُكُوني خَلْفَكُمْ
إني أخَافُ غُرْفَتي
أكْرَهُهَا. ٤٥

وهو ما لم يقْوَ الشاعر" عبد السلام الحبيب الجزائري" على ردّه، كونه منْ قَهْر الرّجال.فقد جاء في قصيدة فجر الوداع" ، وهي قصيدة كتبها الشاعر بعد أن ودّع سماحة الإمام المجاهد الشيخ" البشير الإبراهيمي"وقد غادر"دمشق" ليقيم

في"القاهرة" : (من البسيط)

ما بيْنَ ويحكَ قد هجْت الأسى بدَمي
فانهلَّ بالشعرِ وَلْهانُ النّشيد فَمِي

....

ذكْراكَ يا فجرَ يَوْم جُمُعة انْطبَعَتْ
على فؤادي كنَقْش الوَشْم واليَسْم
إنّي لأَذْكُر والأرواح واجمـــــة
والجَمْعُ مضْطَربٌ حرانٌ منَ الألم
ونحنُ في الغُرفة الزّهراء يجمعنا
حولَ البشير لاهـــــبُ الحَدَم×
تَرْنُو إلى النّسْر بالإجْلال أعْيُنُنا
كأنّنا حولَه سِرْبٌ منَ الرُّخَـــم٤٦

فالغرفة لم تعد ترمزُ إلى دفء الفراق بل إلى حرّ الفراق، في تناقض صارخ مع وظيفتها الأليفة المعتادة، الأمر الذي جعل منها دار فِرار بعد أن كانت دار قَرار.

هذا ولئن عدّت الغرفة من الأماكن المألوفة والتي يقضي فيها الإنسان جلّ أوقاته مستلقياً أو نائماً على فراش وثير أو دون ذلك، فإنّها تعدّ أمينة أسراره كونه تدلّ على الجزء المغيّب من حياته الخاصة والذي قد يظلّ مُلغزاً حتى بعد وفاته.

٣-المَسْجد:

المسجدُ: مُصَلّى الجماعة،وهو من الفعل سجدَ الذي يدلُّ في أصل معناه على تَطَامُن وذُلٍّ.يقالُ: سَجَدَ، إذا تَطامَنَ.وكلُّ ما ذلَّ فقد سَجَدَ. وسَجَد: خَضعَ وانتَصَبَ:ضدٌّ.وأسْجَدَ الرّجلُ:إذا طأطأَ رأسَهُ وانْحَنى.والمَساجِدُ من بَدَن الإنسان:الأعضاء التي يسجُد عليها، وهي الجَبْهَةُ،والأنْفُ واليدانِ والرّكبَتانِ والقدمانِ. والمَسْجَدُ:مَوْضعٌ،أي الجبهة حيثُ يكونُ نَدَبُ السُّجُود،والمَسْجِدُ: مصدر بمعنى: نَزَلَ نُزولاً ، وهذا مَنْزِلُهُ بالكَسْر؛لأنّه بمعنى الدّار.٤٧

والمَسْجِدُ بيتُ الله، ومنزل السكيينة والخُشوع والتدبر، و الاستماع إلى الذكر الحكيم، لذا وَجَبت عمارتُه والنّأي به وفيه عن كلّ ما يخدش حياءَه و يهتكُ حُرمتَه. قال تعالى (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ).٤٨

ويعدُّ الشاعر "علي محمود طه" من الشعراء المحدثين الّذين أوردوا ذكر " المسجد"، وجعلوا منه المرآة الصحيحة لرقي الأمة وانحطاطها .يقول من قصيدة"أنشودة الجهاد في يوم فلسطين":

أخي إنَّ في القُدْس أُخْتًا لنَا
أعَدَّ لهَا النّابحُونَ المَدَى
أخي قُمْ إلَى قِبْلَة المُشركينَ
لنَحْمي الكَنيسَةَ والمَسْجِدَا.٤٩

أمّا الشاعر" أحمد السقاف "فيجسد صورة المكان الكويتي من خلال تجسيده لصورة تدمير الجيش العراقي"لجزء من المسجد الكبير في العاصمة الكويتية ،وفيه يقول :

آه على المَسْجِد وقدْ هُتِكَت
فيه المَحَارِمُ والتّنكيلُ ألْوانُ
مَنْ يُبْلِغُ القَـــوْم أنّ بنَا
جُرحاً عميقاً إنْ لَمْ تَدرالعراقُ٥٠

أمّا" المسجدُ الأقصى" فيأتي في أولويات اهتمام شعراء نيجيريا المُحدثين نُصْرَةً على نحو ما كان عليه نظراؤهم من العرب المحدثُين،فها الشاعر" عيسى ألبي أبوبكر" يصدح بهيامه له،ومُدافعاً عن حياضه، قائلاً: (من الوافر)

رأيتُ المُسجد الأقْصى أمَامي
فزادَ جَمـــالُ صُورتِه هَيَامي
سَمِعْتُ صَدَى مَآذنه يُنَادي
(صَلاَحَ الدّين)في قَعْرالرُّغَام
ألاَ تُوحي إليَّ الأحفادُ أمْرًا
فيَدْفَعُهُمْ إلَى أمْرٍ جسَـــام
تُدَنّسُ سَاحَتِي دَوْماً كلاَبٌ
فتُجْزَى بَعْدَ ذلك بالسّـــلاَم
يُهدّدُ أُسَّ أبْنيتي انْهيَـــارٌ
كأنْ لمْ يَأْتني خَيْرُ الأنَـــام
أضَاعُوني لضَعْفهِمْ فضَاعُوا
ومَا شَمُّوا ريَاحينَ احْتـــرَام
لمَاذَا ينْبذُونَ تُـــرَاثَ دين
تَوارَثَهُ كِـــرَامٌ منْ كِـرَام٥١

وقد رأى الشاعر" أحمد سحنون" في قصيدته" مسجد دار الأرقم"، أنّ في إنشاء مسجد عمل خيري لا ينقع جزاؤه إلى يوم الدّين ، فهو :(من الخفيف)

عَمَلٌ سَوْفَ لا يَبيدُ مدى
الدّهْر ويَبْقَى مَنَارَةَ الأجيَال

.....

فَغَدا آيةً من الفنّ والإبْدَاع
عنْوانَ لرَوْعَة وجَمـــــــال
إنّهُ المَسْجِدُ الذي سَوْفَ يَحْدُو
مَنْ يُريدُ الهُدَى لخَيْر مَآل
وَسَيَغْدُو عَلامَةَ الصّحْوَة الكُبْرَى
ورَمْزَ العُلاَ ومَهْوى الكَمَال
مَسْجِدُ" الأرْقَم" الذي نَشَر
الضَّوْءَ وأدْنَى أقَاصي الآمَـال٥٢

أمّا الشاعر" محمد العيد آل خليفة"، فقد استوحى شعره من حناياه، فقال من قصيدة " استوْحِ شعرَك"، بعد مطلع مُلهِم:(من الكامل)

إسْتَوْحِ شعْرَكَ من حنايا الأضْلُع
واسْتَجِل في القَسَمَات حُسْنَ المَطْلَع
وَصُغ التّحيّةَ نَضرَةً رفافَـــــةً
كالوَرْد، وارفَعْها لهذا المَجْمَـــع

.....

أذوي العَمائم سايرُوا قُرآنَكُمْ
وتَتَبَعُوا هَدْيَ الرّسُـــول الأشفَـع
أذوي العَمائم رَاجعُوا تاريخَكُمْ
منْ مُنْذُ عَهْد (الدّاي) حتّى تُبَـع
أذوي العَمائم علّمُوا وتعهّدُوا
بالوَعْظ والذّكرى ذوات البُرْقُـــع
آتُوا النّساءَ نَصيبَهُنَّ من الهُدى
يَخْرُجْنَ نَشْئاً كالرّمَاح الشُّرَّع
وابنُوا المَدارسَ نَضرَةً مُزْدانَةً
تَحْكي المَغَارسَ في الرَّبيع المُونع
وابنُو المساجدَ حُرّةٌ لَيْسَتْ إلى
مُتَحَكّم تُعْــزَى ولا مُتَبَدّع٥٣

فالمسجد لدى" محمد العيد"يرمزُ حرية المعتقد بعيداً عن أهواء السياسة و أصحاب المُحدثات الدينية، فهو بيتُ الله الذي لا يُشرَكُ به و لا يُعبدُ فيه سوَاه .

غير أنّ" المسجد" في شعر" سليمان جوّادي"، فجاء توظيفه ملائماً لمذهب التحديث في الشعر،محاولاً تطويع اللغة لرؤاه الفكرية والأخلاقية والفنية الجديدة،فقال "بلغة مُضادّة لمعهود اللغة انطلقت حرّة تحطم في طريقها كل ما تراه من سَلاسل أو رموز لهذه السّلاسل":٥٤

جَوْعَانُ وآكلُ منْ زادِ المُتَنبي في الأضْحى
أبُولُ على النّعمة
وألقنُ شيخَ المسجد أشْعاراً تطفحُ بالحكْمَة
اشتاقُ
أُجامعُ مُومسَةً
يحْنُو الإبداعُ لها
؟؟؟؟
والبَشَرُ ٥٥

فـ " المسجد" جاء مُعرفاً بـ أل" وقد أُسندَ إلى " الشيخ" من باب المُضاف إليه، والإضافة وإنْ كانت أقوى المعارف،إلا أنّ "الشيخ" المنسوب إلى " المسجد" ظلّ نكرة في المعنى، استوجبُ منّا استفساراً إضافياً عن مضمونه ؟ الأمر الذي يجعل تركيز " سليمان جوّادي" على (الشّيخ) أكثر من المسجد مبرراً، ومبرئاً لساحة (المسجد)،كونُ (الشيخ) بحاجة إلى حِكْمة في التبليغفي هذا الحيّز الذي يتطلّب التّوازن بين النّقل والعَقْل، فكان شعره ، على ما يبدو ثورة "ضدّ البُنى كلّها الذهنية والبلاغية والتّراثية والدينية، بلغة بُنوّة بلا أُبُوَّة".٥٦

الخاتمة :

هذا غيض من فيض الأماكن التي حفل بها الشعر العربي الحديث،في أبعادها الإنسانية الإيجابية والسلبية. ولعلّه ، وككلّ إنسان،قد بدأ وعيه بالمكان عموماً بخبرته لجسده"هذا الجسد هو(مكان)،أو لنقل بعبارة أخرى(مكّمن) القوى النفسية والعقلية والعاطفية والحيوانية للكائن الحيّ.وقد يفسّر هذا أنّ البشر لجئُوا للمكان في تشكيل تصّوراتهم،للعوالم المادية وغير المادية على حدّ سواء".٥٧وهو،في رأينا، مبرّرٌ كافٍ للقول بأنّ الشاعر العربي الحديث والمعاصر قد تمثّل تجربة التعبير بالمكان،تمثلاً قائماً على وعيٍ ما للفضاء من بُعدٍ تجريبي، مُجسَّدٍ على المعاينة الشاملة للوجود والإنسان، باعتبار شعرية الفضاء صوغاً جديداً مبنياً على تعزيز تجربة القصيدة المعاصرة في بُعديْها الشكلي والرمزي، وهو أمرٌ لمْ حكراً على ثُلّة من الشعراء المعاصرين في المشرق العربي و المغرب العربي أمثال:أدونيس، ومحمود درويش، وسعدي يوسف ومحمد بنّيس،الذين أعطوا أهمية كبيرة لمسألة التجريب للقصيدة المعاصرة عن طريق الفضاء، وإنْ لم ترْقَ التجربة في عمومها إلى تجربة شاملة وجامعة مانعة،على النحو الذي تيسّرَ لتجربة التعبير بالأسطورة،أو القناع مثلاً،٥٨ وهذا دون التقليل من تجربة السّياب في هذا الشأن،من باب وصفها بقلّة العُمق، وكونها لا تعدو ملامسات تمّت بصورة لا واعية وبشكل أوّلي،٥٩ كونها تجربة مثّلتْ النواة الأولى للوعي بهذه التجربة التي اتّخذ منها الشعراء العرب المعاصرون مثالاً سابقاً نسجوا على منواله، في التزام تامّ بقضايا الأمة ومصائر أبنائها.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

-آل خليفة،محمد العيد: الديوان، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع،عين مليلة، دط، الجزائر،دت.

- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر، دت.

-ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،دط، دت.

- ابن منظور جمال بن مكرم، لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، دت.

-أبو سعدة، فريد : سماء على طاولة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط،،٢٠٠٥،القاهرة م.

- أدونيس، علي أحمد سعيد: زمن الشعر ، زمن الشعر ،دار العودة، ط١ ،بيروت،١٩٧١م.

-ألبي أبوبكر،عيسى: السباعيات ديوان الشاعر عيسى ألبي أبوبكر، المركز النيجيري للبحوث العربية،دط، إوو، نيجيريا. ٢٠٠٨م.

-باشلار، غاستون :جماليات المكان ،ترجمة غالب هلسا المؤسسة الجامعية للنشر،بيروت، لبنان، ط٦، ٢٠٠٦م.

-باوية، صالح : العاشق الأكبر .دار الحفيد للطباعة و النشر، الجزائر،ط ١،١٩٩٩ م.

-بوساحة، حسن: دروب الوفاء-شعر-المؤسسة الوطنية للكتاب،دط، الجزائر، ١٩٨٦م.

- بوقرورة،عمر أحمد: دراسات في الشعر الجزائري المعاصر-الشعر وسياق المتغير الحضاري-،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع،دط،دت.

-بوقرورة،عمر أحمد:

-الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث(١٩٤٥-١٩٦٢م) ،منشورات جامعة باتنة،دط،الجزائر دت.

-بن يحي، سعدية: المكان في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي، مذكرة ماجستير، إشراف الدكتور عمار بن زايد، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، ٢٠٠٧ – ٢٠٠٨م.

- التهانوي، محمد علي: كشاف اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

-جوادي،سليمان: ديوان يوميات متسكع،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،دط،الجزائر، ١٩٨١م.

-الحبيب الجزائري،عبد السلام: اذكريني يا جزائر،شعر،المؤسسة الوطنية للكتاب،دط، الجزائر، ١٩٨٦م.

-حبيب، مونسي: المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية، دراسة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب،دط، دمشق، ٢٠٠١م.

-خمار،محمد أبو القاسم:ظلال وأصداء، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط٢، الجزائر ١٩٨٢م.

-الداية، فايز:علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق –دراسة تاريخية،تأصيلية، نقدية، ديوان المطبوعات الجامعية،دط، الجزائر، ١٩٧٣م.

-دراز،سيزا قاسم : المكان ودلالته ضمن كتاب جماليات المكان، لجماعة من الباحثين، باندوغ، دار قرطبة،ط٢، الدار البيضاء،١٩٩٨م.

-درويش، محمود: الديوان، دار العودة، ط٢، لبنان، ١٩٧٨م.

-دنقل، أمل : الأعمال الشعرية الكاملة،مكتبة مدبولي، القاهرة،ط١٤٠٧،٣هـ-١٩٨٧م.

-الرشيدي، بدر نايف:صورة المكان في شعر أحمد السقاف،رسالة ماجستير، إشراف الأستاذ الدكتور عبد الرؤوف الزهدي، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١١م.

- الزّين،سميح عاطف : تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، مجمع البيان الحديث،دار الكتاب اللبناني،مكتبة المدرسة، ط٢، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

- صليبا، جميل: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، مدتبة المدرسة، سنة ١٩٨٢م.

-عبدالصبور،صلاح:الأعمال الكاملة،أقول لكم عن الشعر ،الهيئة العامة للكتاب،دط،المجلد٩، ١٩٩٢م.

- عبد الصبور، صلاح :علي محمود طه، قصائد ،دار الأداب،دط، ١٩٦٩م.

- علي، محمد يونس :وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء الدلالة المركزية، دراسة حول المعنى وظلال المعنى، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس،دط، ليبيا، سنة ١٩٩٣م.

- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط،دار الجيل، بيروت، دت.

- لغماري، محمد مصطفى : مقاطع من ديوان الرفض المؤسسة الوطنية للكتاب،دط، الجزائر،دت.

- مبخوثي نورالدين :بلاغة الهدهد، قصيدة القنديل، مطبعة النخلة، الجزائر العاصمة، ط١، ٢٠٠٨م.

-ميراوي، عبد الوهاب: شعرية الفضاء التناصي، وبنية التنوع والتقابل، مجلة سمات،مركز النشر العلمي،جامعة البحرين، المجلد ١، العدد٢، سبتمبر ٢٠١٣م.

-النصير،ياسين: الرواية والمكان،دراسة المكان الروائي، دار نينوى، للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢، دمشق، سورية، ١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م.

- النصير،ياسين: جمالية المكان في شعر السياب،دار المدى للثقافة والنشر،دط، ١٩٩٥م.

الهوامش

١ -محمد يونس علي: وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء الدلالة المركزية، دراسة حول المعنى وظلال المعنى، ص ١٣٨.

٢- الآية ٢٧ من سورة الواقعة.

٣ -الآية ٤١ من سورة الواقعة.

٤ -محمد علي التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون، ص ٥٠.

٥ -ابن مظور: لسان العرب، ج٨، ص ١٨، مادة (بَقَعَ).

٦ -المرجع نفسه، ج١، ص ٣٩، مادة (بَوَأَ).

٧- المرجع نفسه، ج٥، ص ٣٤١-٣٤٢، مادة (حَوَزَ).

٨- المرجع نفسه،ج١٤، ص ٣١٠، مادة (خلا).

٩ -المرجع نفسه، ج٨، ص ٤٤٤-٤٤٥، مادة (فَرَغَ).

١٠- المرجع نفسه، ج١٥، ص ١٥٧ – ١٥٨، مادة (فضا).

١١-ينظر:المرجع نفسه، ج١١، ص ١١٩-١٢٠مادة (جلل)وإبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، ج١ ،ص١٣١ ،مادة(جلّ).

١٢- المرجع نفسه، ج١٥، ص ٢٩١-٢٩٢، مادة (الملا) وينظر:الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج٤، ص ٣٩٤، مادة(الملا).

١٣- ينظر:المرجع نفسه، ج١١، ص ١٦٣-١٦٥، مادة (حَلَلَ)، و ينظر:الفيروزآبادين القاموس المحيط، ج٣،ص ٣٧٠-٣٧١،مادة(حلّ).

١٤- يُنظر: المرجع نفسه، ج٨، ص ٣٩٦-٣٩٩، مادة (وضع) وابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج٦، ص ١١٧، مادة وَضَعَ.

١٥- ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص ٤٠٣ - ٤٠٤، مادة (وَقَعَ).

١٦ - جميل صليبا:المعجم الفلسفي بالألفاظ ص ٤١٢.

١٧ - مونسي، حبيب: المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية، دراسة ، ص٧.

١٨-غاستون باشلار:جماليات المكان ، ،ص٥.

-١٩ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ١ ص ٣٢٤، مادة (بيت) و سميح عاطف الزّين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، مجمع البيان الحديث،ص ١٥٦ ،مادة (بيت).

٢٠ ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط،، ج ١ ص١٤٩-١٥٠.

٢١- سميح عاطف الزّين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، مجمع البيان الحديث ،ص ١٥٦-١٥٧ ،مادة (بيت).

٢٢- الآية ١٢٧ من سورة البقرة.

٢٣-الآية ٢٩ من سورة الحج.

٢٤- ينظر: غاستون باشلار، جمالية المكان، ص ٧٥.

٢٥-ينظر:سعدية بن يحي،المكان في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي ، ص ٥٥.

٢٦ -محمود درويش ، الديوان، المجلد ١ ،ص ٢٣٣-٢٣٤.

٢٧ -ياسين النصير، الرواية والمكان –دراسة المكان الروائي- ص ١٧٥-١٧٦.

٢٨- المرجع نفسه،ص١٧٥.

٢٩- أحمد سحنون، الديوان ، ص١٩٤.

- المزاريب،جمع مِزْرَاب:الميزابُ،وهو أُنْبُوبَةٌ من الحديد أو نحوه تُركّبُ في جانب البيْت من أعلاه لِيَنْصَرفَ منها ماءُ المَطر المتجمّع. إبراهيم أنيس وزآخرون، المعجم الوسيط،ج١، ص ٣٩١، مادة(زرب).

٣٠ -نور الدين مبخوتي، بلاغة الهدهد،ص٤٨.

٣١ -حسن بوساحة، دروب الوفاء-شعر-ص٨٧-٨٩.

٣٢-ينظر: ياسين النصير،الرواية والمكان-دراسة المكان الروائي-ص ١٧٥.

٣٣-الفيروزآبادي،القاموس المحيط،ج٣،ص١٨٦ ، مادة (الغرف)وينظر:ابن فارس،معجم مقاييس اللغة، ج٤،ص٤١٨،مادة (غرف).

٣٤- سميح عاطف الزّين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، مجمع البيان الحديث ،ص٦٢٨،مادة (غرف).

٣٥- الآية ٧٥ من سورة الفرقان.

٣٦ -الآية ٥٨ من سورة العنكبوت.

٣٧- الآية ٣٧ من سورة سبأ.

٣٨-فايز الداية:علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق،ص ٤٤٩.

٣٩- ياسين النصير، الرواية والمكان –دراسة المكان الروائي ،ص٩٤.

٤٠ -أمل دنقل،الأعمال الكاملة، ص ١٣٦-١٣٧.

٤١-صلاح عبد الصبور،الديوان،٣٧، ٤٠، ٦٣.

٤٢-فريد أبو سعدة، سماء على طاولة، ص٥-٦.

٤٣- صالح باوية:العاشق الأكبر،ص ١٢.

٤٤ -عمر بوقرورة: الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث(١٩٤٥-١٩٦٢م)، ص٢٦٢.

-ألوبُ من ألَبَ:رَجعُ. ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج١، ص١٢٩،مادة(ألب).

٤٥- محمد أبو القاسم خمار:ظلال وأصداء، ص١٠٢.

×حدم:احتَدمَ الحرّ،واحتدم النهار:اشتدّ حرّه،وخرجت في نهار من القيظ مُحْتدم،وسمعت حَدمة النَّار، وهي صَوْتُ التهابِها.ينظر:الزمخشري:أساس البلاغة،ص١١٧،مادة(حدم) وإبراهيم أنيس وآخرون،المعجم الوسيط:ج١،ص١٦٢،مادة(حدم).

٤٦ -عبد السلام الحبيب الجزائري:اذكريني يا جزائر-شعر- ،ص ١٣٥-١٣٦.

٤٧- ينظر:إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط،ج١،ص ٤١٦، مادة(سجد)وابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص ١٣٢،مادة (سجد) والفيروزآبادي، ج١، ص٣١٠،مادة (سجد).

٤٨-الآية ١٨ من سورة التوبة.

٤٩-عبد الصبور، صلاح:علي محمود طه، قصائد، ص٧٥. وجدير بالإشارة إلى أن القصيدة لم تثبت في ديوان علي محمود طه ،دار العودة، بيروت، ١٩٧٢م.

٥٠ -بدر الدين ناشف الرشيدي، صورة المكان الفنية في شعر أحمد السقاف،ص٤٨.

٥١ -عيسى ألبي أبوبكر:السباعيات الديوان ،ص٥١.

٥٢ -أحمد سحنون، الديوان،ص٣٠٦.

٥٣ -محمد العيد آل خليفة،الديوان ،ص١٣٥- ١٤٠.

٥٤ -عمر أحمد بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر،الشعر وسياق المتغير الحضاري، ص١٤٦.

٥٥ - أدونيس، علي أحمد سعيد: زمن الشعر ،ص١١٤.

٥٦ - سليمان جوادي:ديوان يوميات متسكع، ،ص٢٣.

٥٧ -سيزا قاسم دراز: المكان ودلالته، ضمن كتاب جماليات المكان، ص ٥٩.

٥٨- ينظر: عبد الوهاب ميراوي: شعرية الفضاء التناصي، وبنية التنوع والتقابل،ص٢٧٠.

٥٩ -ينظر:ياسين النصير،جمالية المكان في شعر السياب،دار المدى للثقافة والنشر،دط، ١٩٩٥م،ص١٨.